

إدغام المتقاربين عند الحسن بن محمد النيسابوري

أ.د. محمد عبد الزهرة الشريف

الباحث قاسم علي أمين

كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

عنت الدراسات الصوتية بالإدغام عناية خاصة وكان لإدغام المتقاربين النصيب الأكبر في هذه الدراسة؛ فكثير من الأصوات اللغوية تتقارب مخارجها، وهذا التقارب المخرجي للأصوات عند نطقها يولد تعسراً وصعوبة، ولذا كان الإدغام أيسر بتحول الثاني منهما إلى نظير الأول ومن ثم إدغامهما معاً. وكان المنهج المتبع في هذا البحث قائم على ذكر آراء النيسابوري فيما يتعلق بإدغام المتقاربين مع ذكر آراء سابقه ومعاصريه ليتبين موافقته أو مخالفته لهم، مع ذكر آراء المحدثين.

إدغام المتقاربين:

ذكر النيسابوري ادغام المتقاربين القياسي بقوله: ((تغيير الحرف الأول بإيصاله إلى الثاني وجعله معه كحرف واحد))^(١).

نلاحظ في إدغام المتقاربين تغيير الحرف الأول؛ ذلك أن بقاء الحرف الأول على حاله يجعل الإدغام غير ممكن؛ إذ لا يدغم الصوت في مقاربه بل لا بد أن ينقلب إلى جنس الثاني حتى يدغم فيه.

ويذكر النيسابوري أن المتقاربين في الإدغام يجعلان مثلين بقوله: ((المجعولين مثلين كما يجيء))^(٢). يبدو أن النيسابوري لم يكن دقيقاً بشأن المتقاربين، إذ حكم عليهما معاً بالتحول. فإن أحد المتقاربين هو الذي يتحول، لا كليهما.

ثم ذكر أن هناك ادغاماً للمتقاربين يخالف القياس بأن يقلب الثاني إلى جنس الأول لعارض يعرض يمنع قلب الأول إلى جنس الثاني ممثلاً له بمثال (إذْبَحْتَوْدَا) والأصل (اذْبَحْ عَتَوْدَا) بقلب العين إلى الحاء معللاً ذلك بأن صوت الحاء أخف من صوت العين، والإدغام غرضه التخفيف^(٣).

والمحدثون يسمون هذا التأثير والتأثير بين الأصوات بالمماثلة ويرون أن إدغام المتقاربين القياسي هو ضرب من المماثلة الكلية المدبرة، وإدغام المتقاربين غير القياسي ضرب من المماثلة الكلية المقبلة^(٤).
وسنقسم أحكام ادغام المتقاربين على ما يأتي:
الأول: أحكام حروف الحلق:
١- الألف والهمزة:

ذكر النيسابوري عدم إمكان إدغام الهمزة في مثلها^(٥)، كما ذكر أن الهمزة والألف لا تدغمان^(٦)، فهو يرى أن الهمزة قريب المخرج من الألف.

والدرس الصوتي الحديث يرى أن الألف هو صوت انطلاقي لا يعتمد على مخرج معين.
ويرى النيسابوري أن الهمزة المخففة لا تدغم في الواو ولا الياء وإن اجتمع مثلاً أولهما ساكن عازياً سبب منع الإدغام إلى عروض ما ينتج من تخفيف الهمزة من الواو والياء، فهما عارضان وليسا أصليين^(٧).
ويرى أبو علي الفارسي أن منع إدغام الهمزة المخففة هو أن أصلها ((الهمزة وإن حذف، فكما لا تدغم الهمزة في الياء، كذلك لا تدغم هذه الواو))^(٨)، فهو يرى أن الهمزة المحققة والهمزة المخففة يشتركان في منع إدغامهما؛ لأن الهمزة المخففة هي كالهمزة المحققة ويحتج على ذلك أن من يخفف (رؤياكم) لم يقلبها ياءً ويدغمها في الياء الثانية كما هي الحال في الهمزة المحققة^(٩).

يبدو أن هناك توافقاً بين أبي علي الفارسي والنيسابوري، إذ إن الأخير يرى أن منع الإدغام في نحو (رئيا) مخفف (رئيا) و (تؤوي) مضارع (أوى) من (الإيواء) هي كون الياء والواو عارضتين وليستا أصليتين ولذا قال ((فكأنه لم يجتمع مثلاً))^(١٠)، في حين يرى أبو علي الفارسي أن أصلهما الهمزة، وهذا يعني كونهما عارضين وليسا أصليين.

وفيه نظر: إذ لو كان الأمر كذلك فما بالنا في خطية قد أدغمنا، على الرغم من كون الياء هنا ليست أصلاً وإنما هي عارضة أصلها الهمزة يقول النيسابوري في (خطية) ((فإن أصلها: ((خطية)) على وزن ((فعيلة))... قلبت الهمزة إلى الساكن في الجميع وأدغم))^(١١).

نلاحظ أن الياء هنا أدغمت وهي عارضة أصلها الهمزة، وهي هنا يجب أن لا تدغم وفق ما يراه النيسابوري؛ وهنا تحقق الفصل الذي تحدث فيه النيسابوري في (رئيا) إذ يقول: ((ليخرج نحو ((رئيا))) إذا خَفَّف - فإنه ساكن فمتحرك من مخرج واحد ولكنه فصل بينهما بنقل اللسان من محل إلى محل مثله))^(١٢)، وخطية حدث هذا الفصل أيضاً بنقل اللسان من محل الأصل إلى محل الفرع شأنه في ذلك شأن (رئيا)؟ والتساؤل هنا فلماذا منع الإدغام في (رئيا) وأجازه في (خَطِيَّة).

أما المحدثون فقد اختلفوا في هذا الصوت أيضاً شأنهم شأن القدماء ومنهم الدكتور إبراهيم انيس الذي يرى أن مخرج صوت الهمزة هو المزمار نفسه، إذ تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً فلا تسمح للهواء بالمرور وبعد ذلك يسمع صوت انفجاري نتيجة انفراج فتحة المزمار فجأة^(١٣).

ويرى الدكتور محمود السعمران بأن صوت الهمزة يحدث بانعدام الفراغ الموجود بين الوترين الصوتيين، نتيجة انطباق الوترين الصوتيين انطباقاً تاماً فلا يمكن للهواء أن يمر من الحنجرة، فينضغط الهواء فيما دون الحنجرة، ثم ينفذ الهواء من بين الوترين الصوتيين بعد انفراجهما فجأة محدثاً صوتياً انفجارياً؛ إذن فصوت الهمزة صوت صامت حنجري انفجاري^(١٤).

في حين وصفه الدكتور غانم قدوري الحمد (حنجري سفلي) لأن صوت الهمزة يصدر من الوترين السفليين^(١٥).

إن هذا الصوت يلفه كثير من الغموض لتباين الآراء حوله ليس في المخرج فحسب بل في صفاته أيضاً فبعضهم يصفه بالمجهور وبعضهم يصفه بأنه لا مجهور ولا مهموس، وأن أقرب الأصوات إليه هو صوت الهاء وصوت الهاء هو مهموس، لأنه يحدث بتباعد الوترين الصوتيين؛ ولذا إدغامه مع أقرب الأصوات إليه يذهب بكثيرٍ من صفاته فضلاً عن الثقل الناشئ من هذا الصوت. فهذا الصوت يتطلب نطقه مجهوداً نطقياً كبيراً.

ذكر النيسابوري عدم إمكان إدغام الألف في الألف كما أشرنا إلى ذلك في إدغام المثلين في المثلين^(١٦) ولم يذكر إدغام الألف فيما يقاربها ولعل السبب في ذلك يعود إلى حمل إدغام المتقاربين على إدغام

المثليين وهو ما يراه ابن عصفور بقوله: ((والسبب في ذلك أن إدغام المتقارِبين محمول على إدغام المثليين فلماً امتنع فيهما إدغام المثليين، كما ذكرنا في فصل إدغام المثليين، امتنع فيهما إدغام المتقارِبين))^(١٧). أما الدرس الصوتي الحديث فقسم الأصوات على قسمين رئيسيين هما الصوائت والصوامت والألف يعد في نظر الدرس الصوتي الحديث من الصوائت فهو يمثل فتحة طويلة، والإدغام مبني على أسس القرابة الصوتية، وأول أسس هذه القرابة الصوتية أن يكون كلا الصوتين من الصوامت^(١٨)؛ فلا يمكن أن يحدث الإدغام بين الصوامت والصوائت، إذ لا إدغام في الصوائت عينها، فمن الأجدر أن لا يكون هناك إدغام بين الصوائت والصوامت فالهمزة صوت صامت والألف صوت صائت والهمزة صوت صامت فإذا كان امتنع ادغام الألف في الألف كان من الأجدر منع إدغام الألف في الهمزة أو الهمزة في الألف.

٢- الحاء والعين والهاء:

ذكر النيسابوري إمكان إدغام الهاء في الحاء، وبين أن عدم الإدغام أحسن من الإدغام إذ يرى أن العلة في ذلك أن: ((حروف الحلق ليست بأصل للتضعيف في كلمة، ولهذا قل المضاعف من الهاء نحو: كة السكران...، وكان حق الحاء أن يكون أقل في باب التضعيف من الغين، والحاء المعجمتين؛ لأنه أنزل منهما في الحلق، إلا أنه كثر: صَحَّ وشَحَّ، لكونه مهموساً رخواً، والهمس والرخاوة أسهل على الناطق من الشدة والجهر))^(١٩).

نلاحظ أن النيسابوري يرى ترجيح الإدغام من عدمه وفق المعطيات الآتية:

١- كلما كان مخرج الصوت أعمق كان الإدغام أعسر، ويبدو أن ثقل الصوت هو السبب في ذلك، والإدغام هو ((اللباث الحرف الواحد "في مخرجه مقدار الباث الحرفين" في مخرجهما))^(٢٠)، وهذا يعني مضاعفة هذه الصعوبة في النطق.

٢- صفات الصوت ترجح الإدغام من عدمه، إذ إن هناك أصواتاً أعمق من أصوات أحر، إلا أن تضعيفها أكثر بسبب صفاتها التي تجعل النطق بهذا الصوت أيسر.

٣- تضعيف الأعمق أقل من تضعيف الأقل منه عمقاً ولذا يرى أنه إذا كان أول المتقاربين أخف من الثاني، فإن الأخير هو الذي يدغم في الأول معللاً ذلك بقوله: ((ثلاً يلزم إدغام الأسهل في الأثقل))^(٢١)، وعندئذ يكون الإدغام على غير القياس، وقد مثل النيسابوري مثلاً للإدغام غير القياسي يمثل في إدغام العين في الحاء وهو (اذبحذَه) الأصل (اذبح هذه) وإدغام العين في الحاء (اذبحْتوداً) الأصل (اذبح عتوداً)^(٢٢).

أما سيويه فيرى أن ((حروف الحلق ليست بأصل للإدغام لقلتها))^(٢٣)، وهذا ما يراه ابن عصفور^(٢٤). ويبدو أن هناك توافقاً بين سيويه وابن عصفور من جهة، فكل منهما يرى أن الأصل للإدغام ليس من نصيب حروف الحلق لقلتها والنيسابوري من جهة أخرى الذي يرى أن حروف الحلق ليست أصلاً للإدغام لكونها ثقيلة، إذ إن ثقلها هو الذي أدى إلى قلتها.

أما درس الصوتي الحديث فقد نسبوا إدغام المتقاربين إلى ظاهرة المماثلة الصوتية ومنهم الدكتور إبراهيم أنيس الذي يقول في وصف درجات التأثير بين الأصوات في ظاهرة الإدغام ((أقصى ما يصل إليه الصوت في تأثره بما يجاوره أن ينفي في الصوت المجاور، فلا يترك له أثراً. وفناء الصوت في صوت آخر هو ما اصطلح على تسميته القداء بالإدغام))^(٢٥).

يبدو من وصفه أنه لا يقصد إدغام المتماثلين، بل يقصد إدغام المتقاربين إذ إن الصوتين المتقاربين عند إدغامهما ينفى أحدهما تماماً بقلبه إلى ما يماثل إلى الآخر.

ويعزو أحمد مختار عمر حدوث هذه الظاهرة إلى تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة، تماثلاً كلياً^(٢٦).

٣- الغين في الحاء والحاء في الغين:

مثل النيسابوري لإدغام الغين في الحاء بـ (أبلغ حَليلي) وإدغام الحاء في الغين بـ (اسلُحْ عَنَّمك)^(٢٧)، وهذا الأخير أدغام صوت في صوت أعمق منه، وقد علل النيسابوري إمكان حدوث الإدغام لأن مخرجها هو أقرب المخارج إلى اللسان^(٢٨).

ويستدل النيسابوري على قرب مخرج الغين والحاء من اللسان بإخفاء النون الساكنة قبلهما في لهجات بعض العرب ممثلاً له بـ (منخُل) كما تخفى قبل حروف الفم^(٢٩).

وبذلك فالنيسابوري يوافق سيبويه الذي يرى أن الإدغام حسن، والبيان أحسن منه في العلة من جواز الإدغام^(٣٠).

ويرى ابن عصفور أن صوتي الخاء والغين يجوز إدغام أحدهما في الآخر من غير ترجيح في الإدغام أو عدم الإدغام نجد ذلك بقوله: ((وَأَمَّا الْغَيْنُ مَعَ الْخَاءِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ فِيهِمَا الْبَيَانُ وَالْإِدْغَامُ، وَكِلَاهُمَا حَسَنٌ؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ. وَإِذَا أَدْغَمْتَ قَلْبَتِ الْأَوَّلَ مِنْهُمَا إِلَى الثَّانِي، كَأَنَّ مَا كَانَ، نَحْوُ: اسْلِخْ غَنَمَكَ وَادْمَعْ خَلْفًا. وَإِنَّمَا جاز قلب الخاء غينًا، وإن كانت أخرج إلى الفم منها؛ لأنَّ الغين والحاء لقرب مخرجهما من الفم أُجريا مُجرى حروف الفم. وحروف الفم يجوز فيها قلب الأخرج إلى الأُدخل.

ومما يُبين أنهما يُجريان مُجرى حروف الفم أنَّ العرب قد تُخفي معهما النون، كما تفعل بها مع حروف الفم))^(٣١).

نلاحظ أن هناك اضراباً فيما يراه ابن عصفور فمرة يساوي بين الإدغام وعدمه؛ لأنه يرى أن كليهما من مخرج واحد، ومرة يرى أن صوت الغين أدخل من صوت الخاء إلا أنه ساوى بين الإدغام وعدمه فيهما لأنه عاملهما معاملة حروف الفم؛ لقربهما منها إذ إن حروف الفم يدغم الأعمق في غيره.

ويبدو أن هناك خلافاً بين ما يراه النيسابوري وسيبويه من جهة وابن عصفور من جهة، فسيبويه والنيسابوري يرى أن بعض قبائل العرب تخفي النون مع صوتي الغين والحاء، أما ابن عصفور فيرى إن إخفاء النون مع صوتي الغين والحاء قليل وإظهارها كثير في كلام العرب.

ويرى الدرس الصوتي الحديث أن العلة في إدغام الخاء في الغين والحاء في الغين هو التقاؤهما والمتقدم في نهاية مقطع والمتأخر في بداية مقطع تالٍ له، وعليه يكون الصوت الأقوى هو الصوت المتأخر والصوت الأضعف هو المتقدم^(٣٢) فالصوت الذي يبتدأ به المقطع المتأخر يكون متبوعاً بصائت مما يكسبه قوةً، والصوت الساكن هو الصوت الذي يكون في نهاية المقطع المتقدم يزيد ضعفاً^(٣٣)، ولذا يدغم

المتقدم في المتأخر سواءً أكان المتقدم غيناً والمتأخر خاءً أم كان المتقدم خاءً والمتأخر غيناً، وعليه يخضع الإدغام بدرجة كبيرة إلى السياق الذي يرد فيه الصوت.

الثاني: أحكام أحرف الفم:

١- القاف والكاف:

ذكر النيسابوري ادغام القاف في الكاف ممثلاً له بـ (خلقكم) والكاف في القاف معللاً ذلك بقوله: ((التقاربهما في المخرج))^(٣٤)، وقد ذكر النيسابوري أن إدغام القاف في الكاف في نحو (خَلْقُكُمْ) هو ما يسمى بالإدغام الكبير، إذ إن الحرف المدغم حرف متحرك أسكن للإدغام^(٣٥).

وقد ذكر النيسابوري في قوله تعالى: II أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ O^(٣٦) أن قراءة ورش بالإظهار^(٣٧). وهي قراءة شاذة، إذ القياس هنا الإدغام لأن الصوتين قريباً المخرج، وكان المتقدم منهما غير متبوع بصائت، إذ لم يفصل بينهما فاصل، ويمكن توضيح ذلك في ضوء الكتابة الصوتية:

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ = ن - خ / ل - ق / ك - م /

نلاحظ أن صوت القاف جاور صوت الكاف في سياق صوتي يتقدم فيه على صوت الكاف وهما قريباً المخرج إلا أنهم اختلفوا في كيفية الإدغام أهو تام حيث لا يبقى صوت الاستعلاء الموجود في القاف لفنائه وذوبانه في الكاف، أم غير تام إذ يبقى صوت الاستعلاء^(٣٨).

ونلاحظ أن النيسابوري لم يعلل إدغام الكاف في القاف، إذ إن القاف أعمق من الكاف، ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى أن لأصوات الحلق أحكاماً خاصة بها تختلف عن أحكام أصوات الفم، وهذا الاختلاف ناجم عن ثقل نطق أصوات الحلق وخفة نطق أصوات الفم، وهذا هو السبب في إدغام أحدهما في الآخر. ولعل سببونه كان أكثر وضوحاً فهو يرى إدغام الكاف مع القاف وإدغام الكاف مع القاف حسن والبيان أحسن عازياً سبب إدغامهما إلى قرب مخرجيهما واتفاقهما في الشدة وكونهما من حروف اللسان، أما ترجيحه للبيان؛ يعود لأن مخرجهما أقرب مخارج اللسان إلى الحلق^(٣٩).

وقد فضّل ابن يعيش إدغام القاف في الكاف على إدغام الكاف في القاف معللاً ذلك بقوله: ((لأن القاف أقرب إلى حروف الحلق، والقاف أبعد منها))^(٤٠).

أما الدرس الصوتي الحديث فيعد الإدغام في نحو (ألم نخلقكم) ضرباً من المماثلة الكلية المتصلة المدبرة، فيرى الدكتور تمام حسان أن إدغام الكاف في القاف وإدغام القاف في الكاف يساوي البيان في الحسن^(٤١).

ويرى الدكتور علاء جبر محمد أن صوتي القاف والكاف من أصوات الحلق وأن إدغام أحدهما في الآخر جائز إلا أن الإظهار أحسن معتبراً هذا النوع من الإدغام - الإدغام في أصوات الحلق - عادةً نطقية عند بعض القبائل^(٤٢).

٢- الجيم والشين والياء:

بعد أن أتم النيسابوري ذكر أحكام الإدغام في كل من القاف والكاف، شرع في ذكر بيان أحكام الإدغام في مخارج الجيم والشين والياء بقوله: ((الياء لا تدغم في الشين ولا في الجيم، ولا الشين في الياء والجيم لأن الياء والشين من حروف ((ضَوِيّ مَشْفَر)) فلا يدغم فيما يقاربها))^(٤٣).

ويبين النيسابوري أن العلة من عدم إدغام الياء فيما يقاربها لأن فيها صفة اللين التي تذهب بعد إدغامها مع الجيم ولأجل ذلك منع الإدغام^(٤٤).

ويوافق النيسابوري سيبويه الذي نص على عدم إدغام الياء فيما يقاربها بقوله: ((ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة، ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شيء من المتقاربة، لأن فيهما ليناً ومداً، فلم تقوَ عليهما الجيم والباء، ولا ما لا يكون فيه مدٌّ ولا لين من الحروف، أن تجعلهما مدغمتين، لأنهما يُخرجان ما فيه لين ومد إلى ما ليس فيه مدٌّ ولا لين))^(٤٥).

يبدو من النص أن القداء لم يكونوا يميزون بين أصوات العلة وأصوات المد فأصوات العلة تنشأ نتيجة تتابع الحركات فتكون الحركة المزدوجة التي تؤدي إلى وجود الصوت الانتقالي كالواو والياء في (قوم) و (بيت)^(٤٦).

ومن المعلوم أن إدغام المتقاربين مبني على الأسس الصوتية والأساس الأول هو كونها من الصوامت أو من الصوائت، إذ لا يجوز أن يكون هناك تبادل صوتي بين صامت وصائت، ولذا لا يجوز الإدغام بين الصامت وحرف المد^(٤٧).

وذكر النيسابوري أن الشين لا تدغم فيما يقاربها سواء أكان جيماً أم ياءً معطلاً ذلك بكون الشين تزيد على هذين الصوتين بصفة التقشي الناجم من زيادة رخاوتها^(٤٨).

إذ إن إدغامها في الجيم أو الياء يعني قلبها حرفاً مماثلاً لما يدغم فيه وهذا يعني تنازلها عن صفة التقشي التي تمتاز بها من غيرها.

ويرى سيبويه أن الذي منع الشين أن تدغم فيما يقاربها هو استطالة مخرجها المتكون من زيادة رخاوتها ووجود التقشي فيها^(٤٩).

ويبدو أن الاستطالة التي يقصدها سيبويه هي حركة مناطق اللسان جميعاً، في حين أن الجيم القرشية تتحقق بحركة مقدم اللسان بمؤخر اللثة وبذلك ينتج الانفجار فيها، فالشين يؤدي إدغامها في الجيم إلى زوال صفة الاستطالة والتقشي منها؛ ولأجل ذلك منع إدغامها^(٥٠).

ذكر النيسابوري أن الجيم تدغم في الشين لشدة تقاربهما ومثل مثلاً لذلك بـ (اخرج شاه)^(٥١).

ومن المعلوم أن الإدغام هو تشديد الصوت سواءً كان الصوتان المدغمان مثلين أو متقاربين فالتقاربان يقلب أولهما إلى جنس الثاني، إذ إن الصوت الأول في السلسلة الكلامية يكون أضعف من الصوت الثاني؛ ذلك أن الأخير يكون في بداية مقطع والأول في نهاية مقطع، فالجيم في نهاية المقطع مما سبب ضعفها والشين في بداية مقطع ثانٍ مما أكسبها قوة فضلاً عن صفة التقشي والاستطالة المخرجية اللتين أكسبتها قوة إلى قوتها الموقعية، وعليه يمكن مضاعفة الإعاقة المخرجية وتتم هذه العملية بأطول مدة ممكنة لتسريح الهواء الذي يسهم في إنتاج صوت الشين، فتذاب الجيم في الشين وذلك بانقلابها إليه ليكونا مثلين فيدغمان^(٥٢).

ويمكن توضيح ذلك بالكتابة الصوتية التي تمثل طول هذه الإعاقة المخرجية لصوت الشين في المثال الذي ذكره النيسابوري (اخرج شاه).

قبل الإدغام ء-خ / ر-ج / ش-ه / ← بعد الإدغام ء-خ / ر-ش / ش-ه /
وهي عند المحدثين ضرب من المماثلة المدبرة المتصلة الكلية.

٣- الضاد والطاء واللام:

ذكر النيسابوري أن الضاد لا تدغم في غيرها من الأصوات معللاً ذلك تارةً بأن مخرجها لا يقارب مخارج أصوات الحروف الأخرى^(٥٣)، وتارةً أخرى بأنها لا تدغم فيما يقاربها من الأصوات لأن فيها استطالة في مخرجها^(٥٤).

يبدو أن رؤية النيسابوري لمخرج صوت الضاد يشوبها عدم الوضوح، فهو تارةً يرى مخرجها لا يقارب شيئاً من مخارج الأصوات الأخرى وتارةً أخرى يرى أنه يقارب مخارج أصوات أخر، إلا أنه لا يدغم فيه لاستطالة مخرج هذا الصوت.

ويرى سيبويه جواز إدغام الطاء في الضاد ممثلاً لذلك بـ (مضجع)، وقلة إدغام الضاد في الطاء في مثل (مضطجع) لكون بعض العرب يقول (مطجع) تدغم الضاد في الطاء، إذ إن الإطباق لا يزول بالإدغام، لأن الصوت المدغم والمدغم فيه كليهما مطبقان، مشبهاً إدغامها بإدغام لام المعرفة مع حروف الفم معللاً إدغامها بكثرة مجاورتها مع هذه الأصوات في الكلمة الواحدة قياساً مع اجتماعها معها في حال الانفصال^(٥٥).

وهذا الإدغام إدغام غير قياسي لأنه أدغم الثاني في الأول، فالأصل اضتجع تجاور صوتان أحدهما مطبق وهو الضاد والآخر غير مطبق وهو التاء وهذا بدوره يمثل صعوبة في النطق فأثر الأول في الثاني فحوله إلى نظير التاء المطبق وهو الطاء وهو التأثير يطلق عليه في علم الصوت الحديث المماثلة الجزئية المتصلة المقبلة لتكون بهذا الشكل اضطجع، إذ إن هذا الإبدال يسهل علينا النطق، وسنمثل ذلك عن طريق الكتابة الصوتية

اضْطَجَع ← قبل الإدغام ء-ض / ط- / ج- / ع- / .

اضْجَع ← بعد الإدغام ء-ض / ض- / ج- / ع- / وهو إدغام جائز في نظر سيبويه، لقوله فإن شئت قلت (اضْجَع)^(٥٦).

اطَّجَعَ ← بعد إدغام الضاد في الطاء ء-ط / ط- / ج- / ع- / .

نلاحظ أن سيبويه في هذا المثال يرجح إدغام الطاء في الضاد مع كونه إدغاماً غير قياسي على إدغام الضاد في الطاء مع كونه إدغاماً قياسياً، ويبدو أن السبب في ذلك هو إدراكه أن إدغام الطاء في الضاد يُبقي صفتي الإطباق والاستطالة، أما إدغام الضاد في الطاء فيبقي صفة الإطباق كونهما مطبقين ويزيل صفة الاستطالة الموجودة في مخرج صوت الضاد.

وما يحدث في نحو (اطَّجَعَ) يعرف عند المحدثين بالتأثر المتبادل أي فيه تأثر مقبل ومدبر معاً، ء-ض

/ ت- / ج- / ع- أثرت الضاد في التاء لكون الضاد مطبقة والتاء غير مطبقة

أما اللام فقد ذكر النيسابوري حكم إدغامها تبعاً لنوعها فإن كانت لام ال التعريف فإنها تدغم وجوباً في مثلها وفي أصوات التاء والتاء والذال والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والنون معللاً وجوب إدغامها في جميع الأصوات المذكورة؛ لكثرتها وموافقتها لهذه الأصوات لأن جمعيتها من طرف اللسان كاللام، إلا الشين والضاد فيهما استطالة لرخاوتها حتى اتصلت الضاد بمخرج اللام والشين بمخرج الطاء^(٥٧).

والنيسابوري يوافق سيبويه في ذلك، بل ويوافقه في شأن اللام التي يرى أنها هي التي تعطي التعريف للاسم دون الألف، فسماها لام المعرفة^(٥٨).

والدرس الصوتي الحديث يتفق مع القدماء في إدغام لام التعريف مع أصوات الفم وإظهارها مع أصوات الحلق، إذ أطلقوا على اللام التي تجاور أصوات حروف الفم والتي تفنى تماماً فيما يقاربها لأمّاً شمسية، إلا أن الدرس الصوتي الحديث يرى أن أحد أصوات الفم وهو اللام تظهر معها لام ال التعريف، وعليه يجعلها لأمّاً قمرية لأنها لا تفقد خصائصها مثل اللام الشمسية^(٥٩).

ويرى البحث أن إدغام لام ألف التعريف مع اللام التي تبتدأ بها الكلمة هو إدغام مثلين وليس إدغام متقاربين، وإدغام المثلين لا يفنى الصوت الأول في الصوت الثاني وإنما يكون الصوت أطول من كونه منفرداً

أما إذا كانت اللام غير لام (أل التعريف) فيرى أن إدغامها واجب في (بَل) و (هَل) و (قُل) خاصة مع الراء في ((القرآن)) خاصة^(٦٠).

ويبين النيسابوري أن حكم هذه اللام في الصور الأخر جائز الإدغام وهذا الجواز متدرج وفق قرب الصوت المدغم فيه بقوله: ((وإدغامها مع الراء أحسن من الإظهار لقرب مخرجهما، ويليه في الحسن إدغام اللام الساكنة في الطاء والذال والتاء والضاد والزاي والسين، وذلك لأنهم تراخين عن اللام إلى الثنانيا وليس فيهن انحراف نحو اللام كما كان في الراء.

ووجه جواز إدغام اللام فيها أن آخر اللام قريب من مخرجها، واللام معها من حروف طرف اللسان، ويليه في الحسن إدغامها في الطاء والتاء والذال))^(٦١).

وقد علل النيسابوري هذا التدرج في حسن الإدغام بقوله: ((وإنما كان الإدغام مع الستة الأول أحسن منه مع هذه الثلاثة؟ لأن اللام لم تنزل إلى أطراف الثنانيا كما لم تنزل الطاء وأخواتها إليها بخلاف الثلاثة، ويليه إدغامها في الضاد والشرين لأنهما ليسا من طرف اللسان كالمذكورة لكنه جاز الإدغام فيهما لاتصال مخرجها بطرف اللسان))^(٦٢).

ويرى سيبويه هذا التدرج في الإدغام أيضاً حسناً فإدغامها - لام غير المعرفة - مع الراء أحسن معللاً ذلك لأن الراء أقرب الأصوات إليها فقد جعلها بمنزلة الصوتين اللذين يخرجان من مخرج واحد، والذي يليها في حسن الإدغام هي اصوات الطاء والذال والتاء والضاد والسين معللاً ذلك كونها - هذه الأصوات - لم تكن بمثل الراء قرباً إليها بسبب كونها من الثنانيا وليس فيها انحراف نحو اللام، ويليه في الحسن أصوات الطاء والتاء والذال، كونها من أطراف الثنانيا وقرب مخرجها من مخرج الفاء فضلاً عن كون

صوت اللام لم يستقل إلى أطراف الثنايا، أما مع صوتي الضاد والشين فإدغامها فيهما أضعف لبعدهم مخرجي هذين الصوتين عن مخرجها، والذي سوغ ادغامها فيهما هو استطالة هذين الصوتين^(٦٣). ويجعل المبرد الراء واللام بمنزلة المثلين يتضح ذلك جلياً في قوله: ((فإن كان اللام لغير المعرفة جاز الإدغام والإظهار، والإدغام في بعض أحسن منه في بعض. إذا قلت: هل رأيت زيداً وجعل راشداً، جاز أن تسكن فتقول: جعراشد، كما تسكن في المثلين. والإدغام هنا أحسن إذا كان الأول ساكناً))^(٦٤). نلاحظ أن المبرد جَوَزَ بين إدغام اللام في الراء وإظهارها بيد أنه رجح إدغامها سواءً أكانت اللام ساكنة أم متحركة فأسكنت للإدغام. ويميل الباحث إلى أن الإظهار أرجح من الإدغام إذا كانت اللام متحركة (أو ما يسمّى بالإدغام الكبير) لسببين:

١- أن بالتسكين زوال علامة الإعراب.

٢- إن الإدغام الغرض منه هو التخفيف والسهولة في النطق بسبب تجاور الأصوات قريبة المخرج التي إذا ما أظهرناها تولد لدينا جهد وصعوبة بالنطق، ولذا ندغم فيفنى الصوت الأول في الصوت الثاني، فإذا فصل بينهما صوت - صانت - تزول هذه الصعوبة في النطق بزوال هذه المجاورة فما الداعي إلى ترجيح الإدغام على الإظهار بالرغم من كونه - الإدغام - وهذه الحال يزيل معالم الصوت الأول زوالاً تاماً.

الثالث: أحكام أصوات الشفة:

أصوات الشفة هي الفاء والميم والواو والباء

عزا النيسابوري علة امتناع إدغام الواو والفاء والميم فيما يقاربها إلى زيادة صفة هذه الأصوات التي إذا ما أدغمت ذهب خصائصها^(٦٥) وبين هذه الصفات بقوله: ((وفي الواو والياء لين، وفي الميم غنة، ... وفي الفاء تفشٍ مع تأفيف وهو صوت يخرج من الفم مع النطق بالفاء))^(٦٦).

وأما الباء فقد علل جواز إدغامها في الميم والفاء ممثلاً لها بقوله: ((يعذب من يشاء، ويعذب فاجراً، وذلك لتقاربها في المخرج))^(٦٧).

ويعلل سيبويه عدم إدغام الميم في الباء؛ كون الميم هو الحرف الذي يفرون إليه من النون إذا جاورت الباء في سياق صوتي تتقدم هي فيه عليها ممثلاً لذلك بالعنبر فتقول عمبر^(٦٨).

ويرى أبو علي الفارسي أن علة عدم إدغام الميم في الباء ((لموافقة الحرف الحرف في الشدة وإلزام الشفتين))^(٦٩).

ويبدو أن أبا علي الفارسي قد جانب الصواب، إذ إن تعليله هذا يقتضي عدم إدغام الباء في الميم أيضاً. ويرى الدكتور ابراهيم أنيس إمكان إدغام الباء في الميم وإمكان حدوث العكس مستنداً على حدوث العكس بوجود هذه الظاهرة في بعض لهجات الكلام معللاً ذلك أن لا فرق بين الميم والباء سوى أن الهواء في الميم يتخذ مجراه في الأنف وهو في الباء يتخذ مجراه في الفم^(٧٠).

ويعزو الدكتور عادل نذير عدم إمكان إدغام الميم في الباء وإدغام الباء في الميم إلى أن الميم إذا سبقت الباء يتطلب إداءهما انحباس الهواء وتمريه بما يلائم وصف الميم من الأنف ومن ثم فلا بد من تجديد الرصيد الهوائي لأجل الباء لأن الباء صوت انفجاري، فيحدث انفجار وانحباس ولأجل ذلك لا يحدث الإدغام، ويعزو إمكان حدوث إدغام الباء في الميم إلى حبس الهواء سيكون أطول على أساس صوتي الباء والميم معاً، وبما أن طبيعة إطلاق الهواء مع كل منهما متناقضة، فقد أوترت طريقة الميم في تمرير الهواء من الأنف فلم يكن للباء نصيب وهذه الحال إلا في الحبس، وهذا الحبس يكون على طريقة الميم لا على طريقة الباء؛ لأن الحبس على طريقة الباء يولد مهلة ملحوظة من أجل تجديد الرصيد الهوائي وتمريه لأداء الميم^(٧١).

أما الفاء فقد بينا سلفاً أن النيسابوري منع إدغامها فيما يقاربها لوجود صفة التأفيف والتفشي فيها وقد ذكر إدغامها في الباء بقوله: ((تَحْسِفُ بِهِمْ بِإِدْغَامِ الْفَاءِ فِي الْبَاءِ))^(٧٢)

ويعلل سيبويه عدم إدغام الفاء في الباء بقوله: ((لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى وانحدرت إلى الفم، وقد قاربت من الثنايا مخرج الناء؛ وإنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان لأنها أكثر الحروف، فلما صارت مضارعة للناء لم تدغم في حرف من حروف الطرفين، كما أن الناء لا تدغم فيه، وذلك قولك: اعرف بدرأ))^(٧٣).

ويرى الباحث أن سيبويه يجانب الصواب في هذا التعليل، فسيبويه يمنع أن ينتقل صوت من أصوات الفم إلى مخارج أصوات الطرفين، ولو كان الأمر على هذا النحو لما انقلبت النون ميماً عند مجاورتها للباء في سياق تتقدم فيه النون على الباء، فانقلاب النون ميماً يعني تحولها من صوت لساني إلى صوت طرفي، ولم يكن هنالك من فرق سوى أن إدغام المتقاربين هو ضرب من المماثلة الكلية المدبرة المتصلة وتحول النون إلى ميم هو ضرب من المماثلة الجزئية المدبرة المتصلة.

أما الفاء فقد بينا سلفاً أن النيسابوري منع إدغامها فيما يقاربهما لوجود صفة التأفيف والتفشي فيها وقد ذكر إدغامها في الباء بقوله: ((تُخَسِفُ بِهِمْ بِإِدْغَامِ الْفَاءِ فِي الْبَاءِ))^(٧٤).

وقد فسّر الدرس الصوتي الحديث إلى أن هذا الإدغام في هذه الآلية سببه الجهر الذي طرأ على صوت الفاء فأشبهت الفاء الأوربية أو ما يطلق عليه حرف (V) وانحباس الهواء الذي أزال رخاوتها فجعلها صوتاً انفجارياً بعد أن كانت احتكاكياً فأشبهت بذلك كل الشبه صوت الباء فأدغمت فيها^(٧٥).

الخاتمة:

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- ١- وجد البحث أن النيسابوري لم يكن دقيقاً في حديثه عن الصوتين المتقاربين في أثناء إدغامهما حين وصفهما بـ (المجعولين مثلين)، إذ إن أحد المتقاربين هو الذي يتحول، لا كليهما.
- ٢- وجد البحث أن هناك اضطراباً في رؤية النيسابوري في إدغام الهمزة المخففة في الواو أو الياء، فقد قضى بعدم جواز إدغامها بسبب تحقق الفصل بين الصوتين وذلك بانتقال اللسان من محل إلى محل مثله، في حين قضى بجواز إدغام الهمزة المخففة في نحو (خطيّة) وهنا تحقق الفصل أيضاً.

٣- وجد البحث أن رؤية النيسابوري لمخرج صوت الضاد يشوبها عدم الوضوح؛ فهو تارةً يرى مخرجها لا يقارب شيئاً من مخارج الأصوات الأخرى وتارةً أخرى يرى أنه يقارب مخارج أصوات أُخرى، إلا أنه لا يدغم فيه لاستطالة مخرج هذا الصوت.

الهوامش:

- (١) شرح النظام: ٧٠٣.
- (٢) المصدر نفسه: ٦٧٤.
- (٣) ينظر: المصدر نفسه: ٧٠٣-٧٠٤.
- (٤) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد: ٢٠٦-٢٠٧.
- (٥) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٦٧٥.
- (٦) ينظر: المصدر نفسه: ٧١٢.
- (٧) ينظر: المصدر نفسه: ٦٧٥.
- (٨) التعليقة على كتاب سيبويه، أبو علي الفارسي: ٥/٥٩.
- (٩) ينظر: المصدر نفسه: ٥/١١.
- (١٠) شرح النظام، النيسابوري: ٦٧٨.
- (١١) المصدر نفسه: ٤٩٩.
- (١٢) شرح النظام: ٦٧٣.
- (١٣) ينظر: الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس: ٧٧.
- (١٤) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران: ١٣١.
- (١٥) ينظر: أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد، د. غانم قدوري الحمد: ١٥١.
- (١٦) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٦٧٥-٦٧٦.
- (١٧) الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور: ١/٤٣١.
- (١٨) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين: ١٦٨.
- (١٩) شرح النظام، النيسابوري: ٧١١-٧١٢.

- (٢٠) شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف، شمس الدين أحمد دنقوز: ٨٢.
- (٢١) شرح النظام، النيسابوري: ٧١١.
- (٢٢) ينظر: المصدر نفسه: ٧١٢.
- (٢٣) كتاب سيبويه، سيبويه: ٤/٤٤٩؛
- (٢٤) ينظر: الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور: ٤٣١/١.
- (٢٥) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ١١١.
- (٢٦) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر: ٣٧٨.
- (٢٧) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧١٢.
- (٢٨) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٢٩) ينظر: المصدر نفسه: ٧١٣.
- (٣٠) ينظر: كتاب سيبويه، سيبويه: ٤/٤٥١.
- (٣١) الممتع الكبير، ابن عصفور: ٤٣٣.
- (٣٢) ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي حسن الشايب: ٢١٤.
- (٣٣) ينظر: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، د. عبد الرازق حمودة القادوسي: ٨٦.
- (٣٤) شرح النظام، النيسابوري: ٧١٣.
- (٣٥) ينظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، النيسابوري: ٥٩/١.
- (٣٦) سورة المرسلات، الآية ٢٠.
- (٣٧) ينظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، النيسابوري: ٤٢١/٦.
- (٣٨) ينظر: معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب: ١٠/٢٤٣.
- (٣٩) ينظر: كتاب سيبويه، سيبويه: ٤/٤٥٢.
- (٤٠) شرح المفصل، ابن يعيش: ٥/٥٣٦.
- (٤١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ٢٨٦.
- (٤٢) ينظر: المدارس الصوتية عند العرب النشأة والتطور، د. علاء جبر محمد: ٧٩.
- (٤٣) شرح النظام، النيسابوري: ٧١٣.

- (٤٤) ينظر: المصدر نفسه: ٧٠٧.
- (٤٥) كتاب سيويه، سيويه: ٤٤٦/٤.
- (٤٦) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين: ١٧٠.
- (٤٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٨.
- (٤٨) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧٠٧.
- (٤٩) ينظر: كتاب سيويه، سيويه: ٤٤٨/٤.
- (٥٠) ينظر: علم اللغة العام الاصوات، د. كمال بشر: ١٦١.
- (٥١) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧١٣.
- (٥٢) ينظر: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الأصوات الحديث - قراءة في كتاب سيويه - ، د. عادل نذير الحساني: ٤٢١.
- (٥٣) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧١٣.
- (٥٤) ينظر: المصدر نفسه: ٧٠٧.
- (٥٥) ينظر: كتاب سيويه، سيويه: ٤٧٠/٤.
- (٥٦) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (٥٧) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧١٣-٧١٤.
- (٥٨) ينظر: كتاب سيويه، سيويه: ٤٥٧/٤.
- (٥٩) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين: ٢١٢-٢١٣.
- (٦٠) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧١٤.
- (٦١) المصدر نفسه: ٧١٤-٧١٥.
- (٦٢) شرح النظام، النيسابوري: ٧١٥.
- (٦٣) ينظر: كتاب سيويه، سيويه: ٤٥٧/٤-٤٥٨.
- (٦٤) المقتضب، المبرد: ٢١٤/١.
- (٦٥) ينظر: شرح النظام، النيسابوري: ٧٠٦، ٧٠٧.
- (٦٦) المصدر نفسه: ٧٠٧.

- (٦٧) المصدر نفسه: ٧٠٧..
(٦٨) ينظر: الكتاب، سيبويه: ٤/٤٤٧.
(٦٩) التعليقة، أبو علي الفارسي:
(٧٠) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ١٧٥، ١٧٦.
(٧١) ينظر: التعليل الصوتي عند العرب، د. عادل نذير: ٤١٧-٤١٨.
(٧٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان، النيسابوري: ٥/٤٨٢.
(٧٣) كتاب سيبويه، سيبويه: ٤/٤٤٨.
(٧٤) غرائب القرآن و رغائب الفرقان، النيسابوري: ٥/٤٨٢.
(٧٥) ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: ١٣١.

المصادر والمراجع:

- ١- أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١م.
- ٢- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي حسن الشايب، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٤م.
- ٣- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر، مصر، د.ط، د.ت.
- ٤- التعليقة على كتاب سيبويه، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ)، تحقيق: د. عوض بن أحمد القوزي، ط١، ١٩٩٠م.
- ٥- التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الأصوات الحديث - قراءة في كتاب سيبويه، د. عادل نذير الحساني، ديوان الوقف السني، بغداد، ٢٠٠٩م.
- ٦- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٧م.
- ٧- شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت٦٤٣هـ) قدم له: الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتب ال علمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- ٨- شرح النظام على شافية ابن الحاجب، تعليق، الأديب محمد زكي الجعفري، دار الحجة، إيران، ١٤٣١هـ.
- ٩- شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف، شمس الدين أحمد دنقور (ت٨٥٥هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٣، ١٩٥٩م.

- ١٠- علم اللغة العام - الأصوات، د. كمال بشر، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠.
- ١١- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السمران، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ١٢- غرائب القرآن و رغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري (كان حياً في ٧٢٨هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٦هـ.
- ١٣- كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- ١٤- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، ط٥، ٢٠٠٦م.
- ١٥- المدارس الصوتية عند العرب النشأة والتطور، د. علاء جبر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٧١م.
- ١٦- المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ط١، ٢٠٠٤م.
- ١٧- معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، ط١، ٢٠٠٢م.
- ١٨- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي أبو العباس المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.
- ١٩- الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦.
- ٢٠- المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.